

إنعكاسات بشرية!

<http://arabpsynet.com/Documents/DocSamaraiHumansReflex.pdf>

د. صادق السامرائي
أمريكا - العراق
sadiqalsamarrai@gmail.com



النخيل يتكاتف على الضفاف المتماوجة , وأنغام طيور تتغنى بالحياة , وخرير جميل ونافورة تتدفق من أعماق البركة فترتفع إلى أكثر من قامة رجل , فتنثر ماءها إبتهاجا بالحياة. والبط يسبح في مياه متألئة الأمواج. وأجساد مستلقية تستغرق في حلم عذب تحت أشعة الشمس الدافئة. ومن بعيد تلوح سلسلة جبال كحاء تحيط بالمدينة لتحميها من العاديات, وعلى مدى اللحظات أصوات الطائرات تشق صدر الفضاء.

نعم , أجساد مستلقية وسما صافية تردد لحن الحياة , وترقص للحب والصفاء والبهاء ولأشياء ومعاني يرفضها الإنسان بفعله ويقرها في أعماق نفسه , الإنسان المتناقض , الذي لا يعرف ما يريد ولا يفهم إلا بالمزيد من سفك الدماء , وإشاعة الحروب والفوضى وزرع الآلام والآثام في الأرض.

هذا الإنسان المنزوع القلب والمشاعر والأحاسيس حينما يتعلق الأمر بالآخر من بني جنسه , كيف يتحول إلى وحش يرتضي لمن مثله أن يتذوق مرارات الوجود , ويبقى متلذذا بأنانيته وتفرده بالإنجاز الذي يحققه فوق الأرض.

يا وحوش الغاب دُمنّا إننا
أنتِ فينا , آدميُّ جلدنا

تساؤلات تدور في خلدي وتعكر صفو جلستي في هذه الجنيئة التي فيها ما لذ وطاب. جنيئة تجمع الحب والكرهية معا وتحقق فعلا بشريا قاسيا, يدفع للتساؤل عن ماهية قتل الإنسان لأخيه الإنسان, هذا القتل الذي لم يكن الا أول فعل أتقنه البشر منذ بدء خطواته فوق الأرض, إذ إقترف قابيل جريمته بقتل هابيل , وهي جريمة ذات علاقة بالقوة الكبرى, القوة الإلهية , التي تجسدت فيما بعد بتقديم القرابين البشرية بأسلوب بشع ومهين لا يمكن تصديقه أو تخيله, حيث كانت تمر الضحية بطقوس مأساوية نكراء تنتهي بالفتك بها بإحتفال شعائري تعبدي رهيب.

كل نفس كشرت عن نابها
نفسنا تبغي افتراسا عندنا

وقد يتم خطف بشر من مجموعات أخرى , وتقديمهم قرابين للآلهة كي تتحقق لهم الحياة. وكم قدم الأطفال كقرابين وكذلك النساء والرجال , وعذارى النيل وغيرها من رحلة القرابين البشرية عبر التاريخ البعيد.

نعم , أجساد مستلقية وسما صافية تردد لحن الحياة , وترقص للحب والصفاء والبهاء ولأشياء ومعاني يرفضها الإنسان بفعله ويقرها في أعماق نفسه

الإنسان المتناقض , الذي لا يعرف ما يريد ولا يفهم إلا بالمزيد من سفك الدماء , وإشاعة الحروب والفوضى وزرع الآلام والآثام في الأرض

كيف يتحول إلى وحش يرتضي لمن مثله أن يتذوق مرارات الوجود , ويبقى متلذذا بأنانيته وتفرده بالإنجاز الذي يحققه فوق الأرض.

لا رادع سماوي ولا قانون يمكنه أن يلجم جماع البشرية عن هذا النزق الإتلافي , والإمعان في سفك الدماء وسحق الآخر وإعتبار ذلك نصرا وفوزا عظيما. والواقع إنه مأساة مروعة وخطيئة ما بعدها خطيئة

أيّ قبح بجميلٍ إنضوى
كم لشرٍ قد تنادى عزمنا

في أوروبا والشرق وفي كل أصقاع الأرض كان الإجرام الشعائري وطقوسه المأساوية تملأ الدنيا،
وقد تحول اليوم إلى حروب مرعبة فتاكة بوسائل متطورة ومدمرة، وفضاعات مسرفة، حيث الخطايا
ترتكب في أرجاء الدنيا، فلا رادع سماوي ولا قانون يمكنه أن يلجم جماح البشرية عن هذا النزق
الإتلافي، والإمعان في سفك الدماء وسحق الآخر وإعتبار ذلك نصرا وفوزا عظيما.
والواقع إنه مأساة مروعة وخطيئة ما بعدها خطيئة.

وبإسم الأديان كافة تم إختلاق مبررات ومسوغات لقتل البشر.

ما تعافينا ولا تبنا بها
إنه القتل وحربٌ همنا

تلك حقائق صعبة ومفجعة نراها تنتامي في الأرض، وتطغى على الأفعال والنشاطات البشرية،
وتمتلك الوسائل اللازمة لتواصلها وإستمرارها وتعميمها وتحويلها إلى مشروع إقتصادي مريح.
فقتل البشر بالحروب وغيرها من الفتن والإضطرابات تجارة مربحة جدا، وتحقق الرفاهية لعدد
من البشر على حساب الآخر الكثير.

فالحروب تجارة، والفتن تجارة، وكل ما يجرى على هذه الأرض هو تجارة فردية أو دولية أو
أكثر. لاشيئ يتحقق إلا وفق منظور ربحي تجاري لاغير.

ذلك الوحش بعينٍ واقحتُ
رغم أنس لشورٍ نهجنا

هكذا تقول الوقائع والتطورات الحاصلة فوق الأرض.

لامبادئ، لا أخلاق، لا قيم، لا مُثل وتعاليم وشرائع دينية !

إنها المصالح و التجارة، وبيع السلاح، والحصول على الطاقة لتحقيق الرفاه والتطور، للبشر
المتمكن في الأرض على حساب البشر الضعيف، المُستلب الذي يقوم بدور الضحية والجلاد، والطامع
فيه بريئ ومنزه، ولا يرغب إلا بتحقيق الخير والسعادة له، ويرفض كل خيار للحياة الطيبة، ويختار
حياة الموت فيحبها ويطمح إليها، وهكذا فأن البشر المهيمن يعطي البشر الضعيف ما يريده من الموت
، ووفق وصفات إبادة متناسبة والظرف الذي يتحقق فيه، فمنها ما يقتل منهم المئات أو الآلاف وربما
أضعاف هذا .

يا وديعا أنت تبدو خانعا

كن قويا مستهابا بيننا

البشر الضعيف وفق مفهوم البشر القادر يريد أن يموت وهو يحقق له ذلك.
وأنة يتفضل على البشر القوي لأنه يريده أن يحيا برفاه وقوة وسعادة.
لقد إختار طريق الفقر والجهل والآهات، فالذنب ذنبه.

بإسم الأديان كافة تم إختلاق
مبررات ومسوغات لقتل
البشر.

ما تعافينا ولا تبنا بها
إنه القتل
وحربٌ همنا

قتل البشر بالحروب وغيرها
من الفتن والإضطرابات
تجارة مربحة جدا، وتحقق
الرفاهية لعدد من البشر على
حساب الآخر الكثير

الحروب تجارة، والفتن تجارة،
وكل ما يجرى على هذه الأرض
هو تجارة فردية أو دولية أو
أكثر. لاشيئ يتحقق إلا وفق
منظور ربحي تجاري لاغير

هكذا تقول الوقائع
والتطورات الحاصلة فوق
الأرض.

لامبادئ، لا أخلاق، لا قيم، لا
مُثل وتعاليم وشرائع دينية !

إنها المصالح و التجارة، وبيع
السلاح، والحصول على الطاقة
لتحقيق الرفاه والتطور، للبشر
المتمكن في الأرض على
حساب البشر الضعيف،
المُستلب الذي يقوم بدور
الضحية والجلاد

هكذا فإن البشر المهيمنين يعطي البشر الضعيف ما يريد من الموت ، ووفق وصفات إبادة متناسبة والظرف الذي يتحقق فيه، فمنها ما يمتلئ منهم المئات أو الآلاف وربما أضعاف هذا .

البشر الضعيف وفق مفهوم البشر القادر يريد أن يموت وهو يحقق له ذلك. وأنه يفضل على البشر القوي لأنه يريد أن يحيا برفاه وقوة وسعادة

هكذا تمضي البشرية في رحلتها الأرضية، وهي في غاية السرور، تشرب دما وتأكل أثمارا وشرا

لأن القوانين متشابهة والتعبير مختلف لكن النتيجة واحدة، عنوانها لكل مفترس فريسة وكل قوي عادل وإن ظلم

وما على البشر القوي إلا أن ينفذ ما يريده بتقديم الموت هدية له بالقنابل والصواريخ والأسلحة الفتاكة الأخرى.
كذا تبدو قصة الحياة ببساطة متناهية ، فهل سيرعوي البشر الضعيف ، ولا يحني رأسه لبياع في مزادات الرق والعبودية والإمتهان.

هذه هي تناقضات الحياة وتولاتها المتصارعة ، بإسم المبادئ السامية والشرائع والدساتير ، التي ماهي إلا أقوال تناقضها الأفعال وخيارات تبررها الرغبات والآمال.
فالبشر الذي يقول جميلا، في أكثر الأحيان يفعل قبيحا ، لأنه يجنح إلى أن يناقض ما يقوله ، وكأنه يريد أن يتستر خلف أقواله ، فالشعارات كاذبة والأفعال غائبة.

إن يدن الحركة والصراع اليومي عبارة عن أنانيات متفاعلة يحرق بعضها البعض ، ويقتل ما فيه من دواعي الخير ويرمي في جحيم الشرور والضغينة.

هكذا تمضي البشرية في رحلتها الأرضية، وهي في غاية السرور، تشرب دما وخمرا وتأكل أثمارا وشرا، وتترعب على عرش الإختراقات المتلاحقة والمتاهات المتفاقمة في بطحاء السوء والبلاء والحروب الشعواء ، وصراخ ودموع التعساء البؤساء الأشقياء ، وهم تحت رحمة النار المتمكنة المتمسكة رقبة الجحيم وتمتلك قدرات هائلة.

والتي تحول بفضلها البشر القوي إلى مجرم عادل ، فإدانته جريمة لا تغتفر وفعله صائب صحيح لا يختصر .

لقد تحولت الجنيئة الهادئة إلى غابة تسمع فيها حفيف الأفاعي ، وصرخات الفرائس وزئير المفترسين الغانمين المتمكنين من مخلوقات الغابة والقابضين على مصيرها المحتوم.
فلماذا تحضر الغابة بقوانينها إلى الجنيئة التي أنا فيها؟

لأن القوانين متشابهة والتعبير مختلف لكن النتيجة واحدة، عنوانها لكل مفترس فريسة وكل قوي عادل وإن ظلم.

ودندنت نفس البشر الحيران وراحت تعزف على أوتار الآلام والأحزان!!

فاطرِدِ الوحشَ وقَاتِلْ نهجَهُ

فسراجُ الروحِ أهدى دربنا

*** **

" الكتاب النفسي العربي للشبكة "

(خارج الإصدار المتسلسل للكتاب العربي)

وما سواها... تأملات صادق في النفس ...

د. صادق السامرائي

sadiqalsamarrai@gmail.com

الجزء الثاني - شتاء 2015

(من العدد 31 إلى العدد 60)

http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=1001